آليات الحجاج اللغوي في آيات التكوين

الأستاذ المساعد الدكتور انجيرس طعمة يوسف

جامعة البصرة/ كلية الآداب

الملخص:-

تتعرض بعض الفئات البشرية - باستمرار بسبب العوامل الخارجية - الى فقدان الوعي بما يتعلق بالخلق والخالق وتغيب عن كثير منهم فكرة توحيد الخالق. مع إنها موجودة في وعيهم الذاتي .فبين من ينكر أصل الخلق , والخالق , ومن ينكر وحدته , ومن لا يعمل على وفق اعتقاده بالخالق .تأتي مهمة آليات اللغة القرآنية التي تمتاز عن اللغة الطبيعية في حجاجها وتقنيات اقناعها وسعة أهدافها . وما توصلت من نتائج .لتعيد للإنسان ذلك الوعي وتدحض حججه التي أوجدها بحسب قناعاته . وهو ما كشفته لغة آيات التكوين في القرآن الكريم. بالعوامل والروابط الحجاجية المكثفة التي تنفتح على الحجاج اللغوي والمنطقي والبلاغي فضلاً عن المنطلقات الحجاجية وهي المبادئ المشتركة عند كل البشر التي تعتمد الحقائق والوقائع . وتعتمد الاساليب النحوية بشكل حجاجي متفرد والمباني الصرفية بشكل مركز, فتتركب بعض الآليات اللغوية من أكثر من دلالة لتكثيف الحجاج, ليمتاز الحجاج العقدي بلغة حجاجية إقناعية مفتوحة على الاستدلالات المؤثرة في عقل الانسان وروحه وسلوكه . وذلك عن طريق ايجاد التعارض في حجاجه ودحض حججه . والتدرج في اقناعه عبر وسائل لغوية تشكل سلالم حجاجية منتظمة تأخذ العقل البشري الى ساحة القناعة والاذعان في توحيد الخالق.

THE TOOLS OF LINGUISTC ARGUMENTATION Linguistic ArgumentsIN THE QURANIC VERSES OF CREATION

Assistant Professor Dr. Injers Tuma Yousef

College of Arts/University of Basrah

Abstract:

Some people are subject, due to some external factors, to absence of consciousness with regards to issues related to the creation and the Creator. Some of them might be unconscious of monism, although that idea is deeply rooted in their unconscious awareness. Some people deny the existence of a Creator altogether, while others just do not accept monism, or behave as if they did not. Here comes the role of the Quranic language, with all its superiority over ordinary speech in terms of its argumentative tools and persuasive capabilities, to invoke that buried consciousness alive again and refute man's counterarguments. This is what the verses of Creation have proved, using linguistic, logical and rhetorical tools based on the shared grounds among people. It makes an intensive use of grammatical and morpholigical tools of argumentation. The Quranic argumentation is characterized by being more persuasive and more open, using more effective pathos through the use of argument and counterarguments and by employing the gradual steps for persuasion.

الكلمات المفتاحية

(الحجاج - الاقناع - السلم الحجاجي - نقض الحجة - العقيدة - الاليات اللغوية)

المقدمة:-

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام /١. والصلاة والسلام على محمد المصطفى الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأخيار المنتجبين .

وبعد....

فقد فكّر الإنسان مليّاً في وجوده منذ وجوده ، وتدبّر في تكوين السموات والأرض . وجادل كثيراً في أصل نشأته ومنتهاه وكيف تكون هذا الكون وهذا النظام . بما يتاح له من أدلة وبراهين .ولم تؤكد الكتب السماوية الأخرى على هذه الموضوعات سوى القرآن الكريم الذي أجاب عن كل المعضلات الفكرية القديمة والمتجددة التي تواجه الإنسان في حياته .فقد قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ الكهف / ٥٤. واتخذ الإنسان حجاجاً مختلفاً باختلاف الأزمان والأشخاص والثقافات . ودارت في رحى عقيدة التكوين خلافات فكرية عدة على مرّ التاريخ . وبحثت نصوصها في علوم الكلام والأصول والفقه والتفسير ... على اختلاف مناهجها وجهات نظرها. وكان للعقيدة وعلم الكلام النصيب الأفر من هذا النقاش؛ لأن مسألة التكوين من أهم موضوعاتها . على أن الآيات التي وردت في هذا المضمون كثيرة جداً. تأتي تارة لبيان الحجاج المتصل بنشأة الكون وأخرى لبيان نهايته ومآله والحياة الآخرة . وقد أستوقفني الجزء الأول منها. لاهميته في الوعي الفردي والاجتماعي من جهة ولأنه لم يبحث على وفق المناهج اللغوية الحديثة . لتبدأ من هنا محاولة الوقوف عند إمكانية الآليات اللغوية لتشكيل تقنيات حجاجية قادرة على ايجاد الاقناع والتأثير عبر مكوناتها النحوية والصرفية والمعجمية والدلالية ، وذلك بالنظر في السياقات المختلفة التي ترد فيها فكان ذلك هاجساً مزدوجاً بين الفكر البشري من جهة ، واللغة القرآنية من جهة اخرى ليكون حجاجاً لغوياً يتعلق بفكرة التكوين للموجودات .وعلى وفق هذا المنهج الحديث من مناهج علم اللغة.وهو المنهج التداولي . وقد اطلعت على بعض البحوث المتصلة بالموضوع نفسه من قريب أو بعيد منها على سبيل المثال : بحث بعنوان (آليات الحجاج اللغوي وشبه المنطقي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي . مقاربة تداولية) للباحث علاء الدين احمد الغرايبة[١] . وبحث بعنوان (آليات الحجاج في خطب الإمام الحسن ع) للباحثة م.د بشائر عبد الأمير[٢] . وبحث بعنوان : (آليات الحجاج في خطب الحجّاج) رسالة ماجستير للباحث محمد شكيمة . جامعة الشهيد محمد لخضر الوادي .وربما غيرهم . وهي تختلف عما انا فيه وإن اشتركت في بعض ألفاظ العنوان . ولكلٍّ طريقتة ومنهاجه .

أما بحثي الموسوم (آليات الحجاج اللغوي في آيات التكوين) فقد وقفت في التمهيد عند التفريق بين لغة القرآن الكريم , واللغة الطبيعية حجاجاً وإقناعاً واغراضاً ومتلقين . وفي المبحث الأول

وهو بعنوان : (آليات اللغة بين الاستدلال المنطقي واللغوي) بيّنت الفرق بين الاستدلال المنطقي والحجاج اللغوي بدلالة الآليات اللغوية المتعلقة بنصوص التكوين في القرآن الكريم . وفي المبحث الثاني الذي جاء بعنوان :(الخصائص اللغوية العامة للاقناع في عقيدة التكوين) بيّنت فيه التقنيات اللغوية الإقناعية المتعلقة بهذه العقيدة .وعلى وفق إمكانيات اللغة بمستوياتها المختلفة ، موضحاً اختلاف لغة القرآن عن اللغة الطبيعية حجاجياً لاختلاف الهدف الكوني اللازمكاني الذي تحمله لغة القرآن بوصفه كتاب هداية للبشرية جمعاء .وآليات الإقناع في لغة القران الكريم المتعلقة بموضوعة الخلق والتكوين . يأتي بعد ذلك المبحث الثالث بعنوان: (آليات اللغة المركبة وكثافة الحجاج) لبيان كيفية تركيب بعض آليات اللغة من موجهات حجاجية عدة . لتكثيف طاقة الحجاج وتشعبها واستيعابها لأغراضها بشكل موجّز . ثم المبحث الرابع بعنوان: (آليات اللغة وأثرها في إبطال حجاج الخصم) إذ أوضحنا فيه بعض الإجراءات المتعلقة بإبطال حجاج الخصم وبيان تناقضه عبر آليات لغوية نحوية وغير نحوية. ودحض كل الإمكانات المضادة لمسلمات الحقائق والوقائع . وأخيراً المبحث الخامس بعنوان : (آليات اللغة والتدرج الحجاجي) فبعد أن وجدت أن آليات لغوية عدة تُسهم وبشكل واضح في ايجاد التدرج الحجاجي توزع المبحث بين التدرج الحجاجي المعجمي و التدرج الحجاجي بالصيغة ليشمل الدرس الصرفي وما يدخل في المستوى النحوي من الصيغ ثم التدرج الحجاجي بالأدوات اللغوية .

ثم خلصت الى نتائج عدة من هذا البحث أوجزتها ببعض النقاط المهمة في الخاتمة . أزعم أن في بعضها ما يستحق الاهتمام والوقوف عنده في بحوث أخرى . وأخيراً أسال الله تعالى أن يتقبل منا هذا اليسير ويعفو عنا الكثير . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى اله الطاهرين وأصحابه المنتجبين . ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام /١

التمهيد

تتميّز لغة القرآن الكريم عن اللغة الطبيعية إقناعاً وتأثيراً. فهي تختلف من جهة الغاية والموضوع , والمخاطَب, وتقنيات الإقناع . فلا يكاد يخلو موضوع من موضوعات القرآن الكريم, الا وتجد لغة القرآن الكريم تعمل على توجيه المخاطَب الكوني الوجهة الشرعية المطلوبة. بآليات إقناعية متفردة .تأخذ العقيدة مساحة واسعة منها في النص القرآني لأهميتها في حياة البشر ، ولكثرة الجدل فيها . وتختص عقيدة التكوين بأهمية أكبر بوصفها الأصل والركيزة الأساسية للعقائد الإسلامية الأخرى . لأنها تتعلق بأصل الوجود وتكوين المخلوقات. قال تعالى : **(بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)** البقرة / ١١٧ .وتعدّ محور التفكير البشري من بداية الخلق الى يومنا هذا . إذ تنقل لنا نصوص القرآن الكريم حوارات عدة تتعلق بتوحيد الخالق , ونفي الشريك عنه. ونشأت من قراءة النص القرآني وتأويله آراء عدة , وفرقٌ مختلفة لما تكتنزه لغة القرآن من دلالات , وتأويلات يتخذها كل فريق ليحاج بها الآخر. فهي لغة مفتوحة للحجاج المنطقي والاستدلال العقلي والحجاج اللغوي والبلاغي . ولما كان

الملفوظ الحجاجي في اللغة الطبيعية يعمل على توجيه السامع والتأثير فيه , وإقناعه أو جعله يأتي بعمل معين[٣] . فإن التوجيه والتأثير في لغة القرآن الكريم يشمل السامع الموجود والمتخيّل. مع ما يطرأ على الوعي الإنساني باختلاف الظروف والأزمان وتطور المعارف . وبذلك تتميز الوظائف اللغوية في هذا الحجاج القرآني عن الحجاج في لغة الحوار الطبيعية . لما تتضمنه لغة القرآن الكريم من أهداف كونية عابرة للظرفية , وعلى وفق سياقات معينة . يتكثف فيها الإقناع كمّاً وكيفاً لتحصيل الإذعان العقدي . الذي يتوفر على الانعقاد القلبي والنفسي والسلوكي فهي تتميز بطاقة حجاجية عالية لتأكيد الإذعان وترسيخ العقيدة علماً وعملاً . وهو ما يؤكده لفظ (اليقين) ومشتقاته , وما يقاربه من ألفاظ (العقل), و(العلم) في آيات التكوين لبيان إرادة مستوى التسليم والإذعان الذي فيه سكون النفس والاطمئنان . ومنها قوله تعالى : ﴿**وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ الجاثية/٤. وقوله تعالى : ﴿**أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ** ﴾ الطور/٣٦ . ولما كان اليقين هو أقوى درجات العلم فإن الحجاج القرآني يعمل على تحصيله , لما يمثله من حالة الإذعان التام الذي يقود الى العمل. وإن أنجع الحجاج هو الذي يؤدي الى زيادة حدة الإذعان بالشكل الذي يبعث المتلقين على العمل على وفقه , أو أن يكونوا جاهزين للعمل في الوقت المناسب.[٤]. وهو ما يعمل عليه الحجاج اللغوي في عقيدة التكوين على وفق الآليات اللغوية المختلفة التي لا تقتصر على العوامل والروابط والسلالم الحجاجية التي حددها بعض الحجاجين بل تتجاوزها لكل ما يمكن توظيفه حجاجياً من مستويات اللغة المختلفة سواء أكان ذلك في الحجج أم في النتائج . وسواء أكان في السلالم الحجاجية أم في أنواع الحجج .وغير ذلك من تقنيات الحجاج . واعتمد الحجاج الوظائف المشتركة للملفوظ الحجاجي الواحد , لتكثيف الحجاج. كما سيتبين .

وبذلك فإن الحجاج الذي يُنجز باللغة الطبيعية هو من أنماط الاستدلال الطبيعي ويحمله الخطاب الطبيعي . وهو يختلف عن لغة القرآن وخطابه .ولا يمكن ان يُعدّ النص القرآني منتمياً للغة الطبيعية .ولا خطابه منتمياً للخطاب الطبيعي .وينبغي عدم المساواة بينهما وما يقوم به الاستدلال في اللغة الطبيعية يختلف عن الاستدلال في لغة القرآن الكريم[٥]؛ لان الأسس الفكرية والمنطلقات الحجاجية في لغة القرآن الكريم تختلف عن اللغة الطبيعية . فلغة القرآن الكريم تؤسس لمنهج حجاجي مفتوح على فضاءات تتناسب مع تنوع المتلقين على مرّ الزمان .فلا تقتصر لغة القرآن الكريم على ذكر الحجج والنتائج بل تتعداه لما يعدُّ درساً ومنهجاً لكل من يريد الدفاع عن عقيدة التكوين والعقائد الاخرى. لترسم له طريق الاقناع والتأثير في الفكر الانساني والسلوك. وبذلك كثرت التأويلات عند أهل الكلام والأصول والبلاغة والنحو والدلالة .لما في لغة القرآن من امكانية القراءة والتأويل وكلٌّ يرتب مقدماته ونتائجه بحسب المنهج والغاية.

آليات اللغة بين الاستدلال المنطقي و اللغوي.

يأتي لفظ البرهان في النص القرآني في أكثر من مورد , وبصيغة الأمر ليبين إرادة الحجة والدليل كما في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾ النمل / ٦٤ ,البقرة / ١١١, الانبياء / ٢٤. وهو بمعنى الحجة الواضحة والدليل . أي هاتوا دليلاً على أن لله شركاء [٦] . وليس المراد بالبرهان

هنا هو: «قياس مؤلف من يقينيات ينتج يقيناً بالذات اضطراراً »[٧] . وإن إضافة البرهان إلى (كاف الخطاب) مع (ميم الجمع) لإرادة الدليل من الآخر المعترض مهما كان نوعه . لذا فهو هو يشمل الاستدلال المنطقي والحجاج اللغوي والبلاغي وغير ذلك مما تتوفر فيه آليات الإقناع بحمولة لغوية تفردت باستعمالاتها . ففي قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ , لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ , أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...** ﴾ الانبياء/ ٢٢-٢٤ . نجد أن الملفوظ الحجاجي في قضية التكوين في قوله تعالى :﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ الأنبياء / ٢٢ يمكن أن يكون حجاجاً منطقياً استدلالياً عن طريق الاستلزام المنطقي .أو ما يسمى بدليل التمانع كما يسمى عند المتكلمين، أو حجاجاً لغوياً عن طريق الاستلزام التخاطبي . وكلاهما يؤدي للقناعة . وقد ذكر ابن عاشور كلا الحجاجين بالتفصيل وخلص الى القول: «وهذا الاستدلال باعتبار كونه مسوقاً لإبطال تعدد خاص(يقصد تعدد الآلهة) . وهو التعدد الذي أعتقده أهل الشرك .... هو دليل قطعي»[٨] وبذلك لحظ ابن عاشور الحجاج بحسب السياق اللغوي الموجود في الآية وحكم عليه بالقطعية وسماه استدلالاً . على أنه بيّن دليل المتكلمين وهو دليل التمانع وملخصه : إن وجود إلهين يمنع أحدهما ما يريده الآخر .فإذا تعلقت إرادة أحدهما بشيء وتعلقت إرادة الآخر بشيء نقيض له يحصل التمانع بينهما , ويستلزم أما حدوث أحدهما أو حصول التناقض وكلاهما باطل[٩] . وهذا حجاج منطقي. وعند التمعّن في لغة الحجاج في هذا النص التكويني نجد أنها تحتمل هذين النوعين من الاستلزام . فإذا قلنا هو من الحجاج المنطقي فإن ثمة حذفاً في هذا النص يدل عليه الملفوظ الموجود وهذا الحذف يتضمن المقدمة الثانية في البرهان , والنتيجة أيضاً ليكون الحجاج كالاتي:

لوكان للسماء والأرض خالقان لفسد النظام الكوني .

ولما لم يكن في السماء والارض فسادٌ , وخرابٌ

فان الخالق واحد ..... وهو ما يسمى ببرهان التمانع

ويمكن أن نقرأ الحجاج على أنه اقناعي لغوي وملفوظه هو :

إن تعدد الآلهة في خلق السموات والأرض ينتج الفساد في النظام الكوني .

وهكذا في أغلب حالات الحجاج التي سيأتي الكلام عنها . فإن تعدد وظائف اللغة في الملفوظ الواحد يوسم الحجاج بسمة الانفتاح على أكثر من قدرة حجاجية . ذلك إن الملفوظ الحجاجي يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات وهو يختلف عن الملفوظ الاستدلالي.[١٠] ولو كان الملفوظ استدلالياً فحسب لكانت مقدماته ونتائجه موجودة في النص السابق .بيد أن الحذف الموجود في النص يجعل الملفوظ الحجاجي مفتوحاً على الاقناع والتأثير .ولذا يصح أن يأتي بعد (لو) حرف استدراك يدخل على فعل الشرط مثل ان تقول : إن جاء زيد فأكرمه , ولكنه لم يجيء. ومنه قوله تعالى : ﴿**وَلَو شِئنا لَآتَينا كُلَّ نَفسٍ هُداها وَلكِن حَقَّ القَولُ مِنّي لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ وَالنّاسِ أَجمَعينَ**﴾ السجدة / ١٣أي ولكن لم أشأ ذلك فحق القول مني .[١١] ومثله الآية السابقة فالمحذوف هو : ولكنهما لم تفسدا فلم يكن فيها أكثر من خالق.

وهكذا يتضمن الملفوظ الحجاجي القرآني طاقة حجاجية كبيرة . فلم يكن الحجاج القرآني حجاجاً برهانياً استدلالياً فحسب بل هو حجاج يفتح الذهن البشري على الإقتناع ويعلمه قواعد الاستدلال وكيفية الوصول لعقل الآخر وقلبه . وبحسب السياقات الداخلية والخارجية التي تحدد المطلوب . وهكذا الحال في كثير من النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع نفسه . وبذلك فإن الكشف عن المعتقدات الصحيحة يتطلب تكثيفاً لغوياً حجاجياً. يتبين ذلك في المعاني النحوية والأساليب والمفردات والبنية والأدوات من روابط وعوامل سيأتي الحديث عنها بالتفصيل.

الخصائص اللغوية العامة للاقناع في عقيدة التكوين

عند مراجعة معنى القناعة في اللغة نجد أنها لا تعني الرضا بالشيء فحسب . بل هي الإقبال والتوجّه للشيء. وقَنَع قناعةً أي أقبل على الشيء الذي له راضياً [١٢] بمعنى الرضا مع زيادة التوجّه والإقبال. ويأتي التوجّه للشيء أما ذاتياً وبحسب الإستعداد , أو لسبب خارجي. وهو تمام الفرق بين الفعل (قَنَع) , و(أقنع) . فالهمزة الزائدة في الفعل(أقنع) تبيّن أثر السبب الخارجي في تحصيل الإقبال والتوجه. تقول: أقنعته فأقتنع , أي قَبِل وسلّم بالأمر. وتاء المطاوعة تكشف الاذعان, والتسليم . والإقناع في الدرس التداولي هو « محاولة واعية للتأثير في السلوك»[١٣]. وتحصيل الإقناع يعتمد على توظيف اللغة توظيفاً سياقياً معيناً لتكون الملفوظات الحجاجية مؤثرة بقصد توجيه السامع وتحريكه. ويمكن أن نذكر بعض الخصائص لعملية الإقناع في نصوص التكوين , وعلى وفق الآليات اللغوية المتاحة :

١. يعتمد الاقناع في هذا النوع من الحجاج على ما مرتكز في الوعي البشري من القناعة الذاتية التي وجدت بوجود الإنسان ونبعت من فطرته وهي الاعتراف بوجود خالق . قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم / ٣٠ وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ الروم /٨ . لذا فان آليات لغة الحجاج تؤكد على هذا المعطى وتخاطب الذات البشرية بأسلوب الاستفهام الإنكاري غالباً للرجوع الى الوعي الأصلي .فضلاً عن أسلوب الشرط الذي يأتي ليكشف التعارض بين ما يعتقد به اصلاً وما يعمل عليه واقعاً . قال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف / ٨٧ .

٢. يكتنز الملفوظ الحجاجي طاقة كامنة تؤثر في الفئات المتنوعة لمنكري عقيدة التكوين.إذ تعمل آليات اللغة على إقناع أكثر من فئة بملفوظ حجاجي واحد. بحسب السياقات الداخلية والخارجية. و مع تنوع الأزمان والأماكن والظروف المختلفة . ففي قوله تعالى :﴿ **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ ابرهيم / ١٠نجد ان اسم الفاعل (فاطر) بمعنى المبتدع من غير شيء . فضلاً عن الاستفهام المقتضي لنفي الشك يشكّلان حجاجاً لغوياً شاملاً يخاطب الوجدان البشري من أعماقه . إذ تترتب عليه النتائج الاتية :

النتيجة الأولى : لا بد أن يكون لهذا الكون مبتدع .

وهي نتيجة ترد على منكري اصل الخلق .وتخاطب العقل إذ إن الفعل (فطر) بمعنى ابتدع من غير شي وبذلك فإن أصل كل موجود بحاجة الى مبتدع له من غير شيء. قال تعالى على لسان هؤلاء : ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ**﴾ الجاثية /٢٤

النتيجة الثانية : إن مبتدع الكون واحد لا أكثر .

لأن نفي أصل الشك في وحدة الخالق (**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**) يعتمد مقومات العقل السليم الذي يدرك الحقائق . فجاء الاستفهام المستعمل للتوبيخ لتحريك الفطرة السليمة التي لا تقبل الشك الا إذا تاثرت بمؤثرات خارجية . وهي نتيجة تدخل في إفحام المشرك في الخلق . قال تعالى :﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا**﴾ فصلت / ٩

النتيجة الثالثة : لا بد من إطاعة هذا المبتدع والموجد لكم وللسموات والأرض . وهو جزء من العرفان لفضله . وهي رد على من يدعو غير الله . قال تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ** ﴾ الأحقاف / ٣ ،﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ النحل / ٢٠ .

٣.تُعتَمد المقدمات الحجاجية العامة, أو المبادئ الحجاجية الكونية المشتركة بين الناس. فالسموات والأرض وما بينهما من مخلوقات وما يرافقها من ظواهر كونية ظاهرة للعيان تعدّ من أهم المبادئ الحجاجية المستعملة في هذا النمط من الحجاج . وكثيرة هي النصوص القرآنية التي ذكرت خلق السموات والأرض وما بينهما. والمبادئ الحجاجية هي قواعد عامة تقابل المسلمات المنطقية التي تجعل الحجاج ممكناً .أوهي مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد سواء اكانوا مشتركين في مجموعة لغوية معينة أو مجموعة بشرية معينة.(١٤) فالمبدأ الاساس للتأثير في المستمع هو اختيار نقطة انطلاق من مقدمات حجاجية مقبولة بل مسلّمة عند المستمع .والنتائج تترتب على هذه المقدمات وتتضمن الوقائع والحقائق , والقيم , والمظنونات , والمواضع , والتراتيبات.(١٥) وهذه المبادئ التي يعمل عليها هذا الحجاج هي مبادئ كونية عامة يتفق عليها البشر في كل زمان ومكان . فان ألفاظ التسخير , والإنزال , والإنبات . مثل قوله تعالى : ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ الجاثية / ١٣ . و ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴾ العنكبوت / ٦٣ وصيغ المبالغة التي وردت فيها في سياق التكوين . وتكرار العطف بين جملها هو لبيان هذه الحقائق والوقائع لتكون مقدمات ينطلق منها الحجاج. لذا نجد النصوص القرآنية تؤكد هذه المبادئ وتحث على تحصيلها بأفعال الرؤية والنظر :﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ الغاشية / ١٧ , ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا** ﴾ نوح / ١٥. والحجاج في مسألة الخلق والتكوين يعتمد هذه المقدمات أو المبادئ العامة المشتركة بين أفراد البشر كلهم بمختلف أصنافهم وثقافاتهم . فلا يشك عاقل بإن كلَّ موجود لا بد له من موجِد . بيد أن تأثير العوامل الخارجية أهدر كثيراً من الثوابت العقلية , ومهمة الحجاج هي إعادة هذه

الثوابت عن طريق الإفادة من الأدوات اللغوية المختلفة والعوامل والروابط لإعادة القناعة الذاتية لدى البشر في ما يتعلق بالخلق والتكوين ووحدة الخالق.

٤. تتميز عوامل الحجاج في العقيدة بوظيفة يفرضها الإلتزام بالعقيدة الالهية.فاساليب الاستفهام والأمر والنفي والقسم والشرط وغيرها جاءت لتأكيد الإذعان وترسيخ عقيدة التكوين لا لحاجة الخالق تعالى الى مضامينها وقد أشار بعض النحاة لهذا الجانب كما سيتبين . ولنأخذ مثالين من أسلوبي الإستفهام والأمر على أن تتبين الأساليب الأخرى في ثنايا البحث :

أ- الاستفهام في هذا الحجاج لا يأتي لطلب العلم ؛ لأنه منفي عن الله تعالى بل يأتي لمعاني التوبيخ , والتقرير , والإنكار . وهذه كلها استعمالات حجاجية . تعمل على الضغط النفسي على المتلقي لتحصيل الاعتراف . وتكثر الموجّهات الاستفهامية في هذا النوع من الحجاج. لاستخراج المعرفة الفطرية عند الإنسان غير القابلة للشك . على أن الاستفهام غير الحقيقي هو استفهام حجاجي يعمل على توجيه دفة الحوار الوجهة التي يريدها الحجاج . ومن المعلوم أن التوجيه هو لُبُّ الحجاج .ومن هنا كان الاستفهام أهم مظهر من مظاهر الحجاج.[١٦] إذ يرى المبرّد أن (أم) في قوله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ**﴾ الزخرف / ١٦ لم تأت للاستفهام وإنما خرجت مخرج التوبيخ وإذا جاءت مكررة فهي لتكرير التوبيخ بعد التوبيخ . وكذلك لم تأت للاستفهام في قوله تعالى: ﴿**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا** ﴾ النازعات /٢٧ لعدم جواز الاستفهام على الله تعالى لأن المستفهِم إنما يستفهِم ؛ لأنه ينتظر الجواب ليعلم به . وهذا الأمر منفي عن الله تعالى؛ لأنه عالم بكل شيء.[١٧] وغير ذلك كثير من النصوص .

ب- يأتي حجاج التكوين بأسلوب الأمر لإنتزاع الإعتراف من المُنكِر فقد تكرر فعل الأمر (قُل) خمس مرات في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾. لتأكيد النتائج الواضحة المسلّمة التي لا ينكرها عاقل .ولم يتكرر الأمر لطلب فعل معين. فالموجّهات الأمرية هنا حجاجية لتحقيق الإذعان والتصديق .

٥. تتميز آليات اللغة بالتركيب لتكثيف الحجاج . و تتمثل كثافة الحجاج بحمولة بعض آليات اللغة لأكثر من وظيفة حجاجية في الوقت ذاته زيادة في التأثير والإقناع. . وعند متابعة النصوص القرآنية المتعلقة بهذا المجال العقدي وجدنا بعض الأدوات اللغوية تتميز بالتعدد الوظيفي بحسب السياقات التي وردت فيها . إذ إن بعض الأدوات المفردة لها أكثر من وظيفة حجاجية مثل (أم) و (ما) وبعضها يتركب من اكثر من أداة لتكثيف طاقة الحجاج مثل (لئن) و(أمّن) ، (أفمن) فتشكل عوامل حجاجية ، وروابط لتكثيف الحجاج . وبنظرة سريعة للقسم الأول لهذه الآليات نجد :

أولاً : (أم) وردت بكثرة في آيات التكوين . وهي تضم أكثر من معنى حجاجي: فالاستفهام والإضراب , والنفي المتضمن في الاستفهام . يهبها طاقة حجاجية فاعلة . تأتي (أم) متصلة تارة ومنقطعة تارة أخرى . فهي متصلة إذا جاءت بمعنى (أي) لتعادل همزة الاستفهام كما لو

قلت : أزيد عندك أم عمرو . فأنت هنا تريد ان تقول: أيهما عندك. و منقطعة على معنى (بل) بمعنى الانصراف عن المعنى الاول والانتقال الى المعنى الثاني إما نتيجة غلط أو هو مجرد انتقال من كلام لآخر.[١٨] . وتأتي(أم) بمعنى (بل) فضلاً عن الاستفهام كما في قوله تعالى : ﴿**أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ**﴾ الطور / ٣٩ .فلو قدرت (أم) للإضراب بدون استفهام لاختلَّ المعنى المراد . وهو محال كما يرى ابن هشام ؛ لأن الآية في سياق نفي وجود البنات لله . لذا فإن وجود الإضراب دون الاستفهام يعني اثبات وجود البنات لله تعالى عن ذلك ليكون المعنى (بل له البنات)[١٩] وهو يناقض توجيه الحجاج وهو نفي وجود البنات لله تعالى . والحال نفسه مع الآيات المتعلقة بالتكوين التي وردت في السياق ذاته وهي قوله تعالى : ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ** ﴾ الطور / ٣٥-٣٦ .. وبذلك فلا يصح في هذا الحجاج أن نقدّر في الآية السابقة : بل خُلقوا من غير شيء ؛ لأنه لا يخدم نتيجة الحجاج بل المطلوب هو العكس . وهو إثبات الخلق لله تعالى لذا فإن (أم) المنقطعة في الآية السابقة تؤدي معنى الإضراب من جهة , والاستفهام الإنكاري من جهة أخرى , أي الاستفهام الذي يعطي دلالة النفي.

ثانياً : (ما) يجتمع فيها الشرط مع النفي في بعض الحجاج اللغوي القرآني المتعلق بالتكوين مثل قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ المؤمنون / ٩١ . يقول الفراء: «(إذاً) جواب لكلام مضمر أي لو كانت معه الهة ..»[٢٠] و في الكلام حذف ومعنى الآية لو كانت معه آلهة لانفرد كلُّ إله بخلقه , ولغالب بعضهم بعضا.[٢١] ويستدل ابن هشام على وجود الشرط في هذا النص القرآني من (إذاً) معللاً ذلك بكونها تأتي جواباً لـ(أن) أو (لو) المقدرتين أو الظاهرتين.[٢٢] ويرى أيضاً أن (ما) تأتي شرطية زمانية وغير زمانية وقد مثّل ابن هشام للشرطية الزمانية بقوله تعالى: ﴿ **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم** ﴾ التوبة / ٧ اي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم . وغير زمانية في قوله تعالى: ﴿ **وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ**﴾ البقرة / ١٩٧.[٢٣] ولكن تقدير (ما) في هذه الآية ب (لو) الشرطية لوجود (إذا) في الجواب ؛ لأنها لا تأتي في جواب (ما) الشرطية .وهكذا يعلل النحاة هذا الاستعمال بالحذف والتقدير.

آليات اللغة وأثرها في إبطال حجاج الخصم

من المعلوم ثمة جدل حصل ويحصل في ما يتعلق بنظرة الإنسان للوجود , والموجِد وكيفية الإيجاد ومن ثم فقد جاء الحجاج القرآني لإبطال الحجج وخلق التعارض عند الآخر المعاند. بمختلف أشكاله . سواء أكان هذا التعارض بين الأقوال نفسها , أم بين الأقوال والأفعال . «وان سبيل الحجاج هي إماطة اللثام عن التعارض في اطروحات الخصم»[٢٤] ومهمة آليات اللغة هنا هي تشكيل الملفوظات الحجاجية التي تسهم في دحض الأقوال وإبطالها وليس نفيها فحسب .فالدحض يختلف عن نفي حجة الخصم ؛ لان الدحض ينشأ عن حركة حجاجية تعمل على البرهنة على صحة القول ، أو عدم صحته عن طريق ذكر سبب النفي . أما النفي فيقتصر على طرح الأقوال ونفيها فقط.[٢٥] على أن خصومة الإنسان المنكر لخالقه تبينت من إعراضه عن

الواقع المرئي والمعروف .ففي قوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**﴾ يس/ ٧٧ كشف الإستفهام الخارج للتقرير التعارض في قول الخصم فملخص الملفوظ :

الحجة : إن الانسان يرى خلق الله له بحسب الحقائق العلمية والوقائع الخارجية .

النتيجة: تقتضي أن يشكر ويطيع لا أن يكون خصما لخالقه .

ولما كانت النتيجة غير متحققة فهو بحاجة الى حجاج يدحض آراءه في كل الظروف , والأحوال . ومن هنا بدأ التعارض وبطلان حجة الخصم . بل تشكّلت خصومة المعاند من إنكاره لأصل الخلق. وبذلك لم يقتصر الحجاج القرآني في هذا المجال على عوامل حجاجية معينة أو روابط محددة لإبطال حجة الخصم بل تعداه لكل ما تحمله آليات اللغة المختلفة من قدرة حجاجية إبطالية .إن كل ما يؤدي وظيفة الإضراب , والاستدراك , والنفي , وكل ما يؤدي الانتقال من معنى لآخر مختلف هو من الآليات اللغوية التي يمكن أن توظف حجاجياً لإبطال حجج الخصم .أو لإيجاد السلم الحجاجي . أو غير ذلك مما يدخل في ترتيب الحجج والنتائج .ومن المعلوم بحسب الدرس النحوي إن بعض الأدوات النحوية تكتنز أكثر من معنى نحوي ودلالي. ومن المعلوم ايضاً إن بعض المعاني تؤدى بأكثر من أداة .والحجاج يأخذ من ذلك ما يدخل في تقنياته لتحقيق التأثير في السامع . فللإضراب دور في إبطال حجج الخصم عبر بعض الأدوات ومنها : (بل) , (أم) , (أو). وغير ذلك مما يسهم بمهمة الإبطال , وإن لم يصنف نحوياً من أدوات الإضراب. ومنها بعض التراكيب أو الصيغ التي تعطي معنى الإبطال. وبذلك فإن الحجاج يبحث عمّا يؤدى المعنى المطلوب لتحصيل التأثير . وبذلك فإن إبطال حجج الخصم في نصوص التكوين في القرآن الكريم لا يقتصر على أدوات الإضراب فحسب . فالإستدراك يؤدى المهمة الحجاجية نفسها. ومن أهم أدواته:(لكنَّ) المشددة أو(لكن) المخففة. إذ تؤديان وظيفة رفع التوهّم المتولّد من الكلام السابق - مع بقاء الإختلاف في بعض تفصيلات الوظيفة النحوية لكل منهما- فاذا قلت : جاء زيد . ربما يتوهم السامع بأن محمداً جاء أيضاً. وعندما تأتي (لكنَّ) بعدها فتقول: جاء زيد لكنَّ محمداً لم يأت . فإنك رفعت التوهم الحاصل بمجيء محمد . ولا يشترط أن يكون النفي بأدوات النفي المعروفة فيصح أن يكون بالمعنى ايضاً مثل أن تقول : فارقني محمد ولكن زيداً حاضرٌ.[٢٦] والمتكلم عندما يقدّم حجتين لكل واحدة نتيجة معينة , والحجة الثانية أقوى من الأولى فإنه يأتي بأحد الرابطين مثل قوله تعالى :﴿ **أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ يونس / ٥٥ . فالقسم الأول من الآية يخدم نتيجة ايجابية وهو ان الناس عليها الطاعة أما الثاني فيخدم نتيجة مضادة وهي غفلة الناس وعدم طاعتهم ؛ لأن (لكن) تعبّر عن التعارض والتنافي بين ما قبلها وما بعدها.[٢٧] .ومن الملاحظ في كثير من آيات الحجاج اللغوي القرآني إن الاستدراك بـ(لكن) يأتي لنفي ما يتعلق بإدراك الانسان لبعض الحقائق الكونية وعناده في أداء حق الخلق . إذ تتكرر عبارات : (وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) البقرة /١٣.و (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُون) الأنعام / ٣٧ . (**وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) يوسف / ٤٠ وغير ذلك مما يدخل في نفي العلم والشكر والايمان واليقين التي تدل على التعارض . وبذلك يعمل الإستدراك هنا لإبطال ما هم عليه من الأحوال

المقالية والمقامية . وبذلك يجد الباحث إن آليات حجاج الإبطال جاءت في آيات التكوين على نحوين هما : إبطال التعارض بين قول الخصم وفعله . وإبطال فكرة تعدد الآلهة عند الخصم .

إبطال التعارض بين القول والفعل

عملت آليات اللغة المختلفة على بيان التعارض بين قول الآخر وفعله أو بين اعتقاده الداخلي , و فعله الخارجي غير المنسجم مع قوله . وهو ما أكد عليه الحجاج القرآني في كشف هذا التعارض في آيات التكوين.إذ إن فئة من الناس ممن يعتقد بداخله ويعترف بقوله بحقيقة التكوين الالهي للكون والإنسان . لا يعمل بمقتضى ما يتضمنه هذا الاعتقاد ولا ما يترتب على القول . وقد ورد ذلك في آيات عدة منها :

- ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ لقمان / ٥٢.
- ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**﴾ الزخرف/ ٨٧
- ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾ **العنكبوت / ٦٣**
- ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ**﴾ الزمر / ٣٨ وغير ذلك

نجد التعارض عند فئة من الناس يعترفون بوجود الخالق , وإنه هو الله تعالى , لكنهم لا يعملون على وفق هذه المعرفة . فالتعارض بين القول والفعل ضرب من النفاق يصعب كشفه في بعض الاحيان . و من هنا جاءت العوامل والروابط المكثفة لكشف التعارض. فالقَسَم باللام الموطئة للقسم . والشرط بـ(إن) . والاستفهام بـ(من) وبمادة السؤال (سالتهم) . و (اللام) رابطاً حجاجياً . والتوكيد بالنون في (ليقولن) آليات حجاجية تعطي للحجاج قوته الكاشفة عن تعارض الخصم , والمبطلة لحجته .

والقسم عند النحاة يأتي لتوكيد كلام المتكلم [٢٨] .وهو حجاجياً يثبت القضية من جهة , ويقيم الحجة على المخاطب ويلزمه بها من جهة أخرى.[٢٩]. فلا يحتاج الله تعالى للقسم لاثبات الأشياء بل لان شدة التعارض والعناد دعت لذلك لترسيخ الفكرة في ذهنه وسلوكه.

والشرط عند النحاة يتألف من جملتين يلزم من حصول مضمون الجملة الاولى (جملة الشرط) حصول مضمون الثانية (جملة الجزاء) فثمة لازم وملزوم بين جزئي الجملة التامة.[٣٠].وهذا التلازم المشار اليه نحوياً هو مفاد الحجاج الذي يعمل على توجيه الخطاب وايجاد التناقض في كلام الآخر.

ومن الملاحظ أن النص القرآني جاء بـ(إن) الشرطية مع أنها تأتي في حال الشك . وهي تفترق عن (إذا) الشرطية التي تأتي مع اليقين . والسؤال هنا كيف جاءت (إن) في هذا الخطاب مع أن الله تعالى لا شك لديه في قولهم ؟ والجواب حجاجياً هو لبيان التعارض بين قولهم وفعلهم فكأن يقينهم بخلق الله انقلب شكّاً لعدم العمل على وفق هذا اليقين . وبذلك يتبين التعارض بشكل جليّ

من هذه الأداة (إن) المجتمعة مع القسم المؤكد لهذا اليقين المشكوك لشدة التعارض .ومما يساعد على هذه المنحى الحجاجي هو ما ذكره بعض النحاة من إمكانية أن تأتي (إن) الشرطية مع عدم وجود الشك في الكلام مستدلاً بكلام العرب ومنه قولهم : إن كنت إنساناً فأنت تفعل كذا . مع أنه لا يشك في إنسانيته ، ومجيء اللام رابطاً واحداً للقسم وللشرط في هذا الملفوظ الحجاجي القرآني يكشف عن شدّة الترابط بين الحجة والنتيجة. وإن جعلها النحاة تختص بالقسم لأهميته في تثبيت الكلام فلو« تقدم القسم أول الكلام ظاهراً أو مقدراً وبعده كلمة الشرط فالأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم دون الشرط لقيام جواب القسم مقامه ويستدل على ذلك بجواز حذف اللام لو كانت جواباً للشرط »[٣١]ويبدو حجاجياً ان (اللام) تصلح للقسم والشرط في الوقت نفسه , بل للاستفهام كذلك الأمر الذي يكشف عن شدّة الملازمة بين الحجة والنتيجة .

ثم ينكشف التعارض بـ(بل). ايضاً في قوله تعالى : ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ . إذ تأتي(بل) للإضراب . والإضراب أما أن يكون للإبطال أو الانتقال فمن الأول قوله تعالى : ﴿**أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾ المؤمنون / ٧٠ ومن الثاني قوله تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ الاعلى / ١٤-١٥ . وهي في المثال الأول مرادفة لـ(لكن).[٣٢] ومن الواضح إنها في النص الحجاجي التكويني جاءت لإبطال حجة الخصم بعد بيان التعارض بين قوله وفعله. وفي قوله تعالى : ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ « إضراب عما هم عليه من انحراف , وتناقض ، إلى بيان حقيقة حالهم ، وتسلية للرسول (صلى الله عليه وسلم) عما يعتريه بسببهم من حزن»[٣٣] فما بعد (بل) هو ضد نتيجة أخرى , وهي ما تقتضيه الحجة في خلق السموات . فقد جاءت النتيجة باعتراف الخصم وهي (لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) وفي آية اخرى وبنفس المضمون ﴿**لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ** ﴾ الزخرف / ٩ . وهذا الوصف دليل الإعتراف الواضح . ولكنهم لم يعملوا على وفق هذه النتيجة . وبذلك تبطل حجتهم للتعارض. وقد تكررت آليات اللغة في أكثر من نص لتؤكد تعارض أقوال الخصم وبالمضامين نفسها .

وقد تكررت (بل) لبيان التعارض. كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت / ٦٣** وقوله **تعالى :** ﴿ **هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ لقمان / ١١ . وغيرها من النصوص التي ذكرت الوقائع والحقائق المسلّمة التي ذكرتها مجموعة من النصوص اعتمدها الحجاج الوقائع الخارجية التي يعيشها الانسان بشكل متكرر في حياته لما لها من أثر في استمالة المتلقي . والتأثير فيه. بوصفها مبادئ مشتركة عند الانسان. كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف / ٥٤** . فالمبدأ الاساس للتأثير في المستمع هو اختيار نقطة انطلاق من مقدمات حجاجية مقبولة بل مسلّمة عند المستمع . والنتائج تترتب على هذه المقدمات وتتضمن الوقائع والحقائق , والقيم , والمظنونات , والمواضع ,والتراتبيات.[٣٤].

. ومن ذلك جاء الإبطال بنفي العقل (بل أكثرهم لا يعقلون) الناتج من عدم التسليم والاذعان . والمؤدي الى عدم العمل . يقول ابن عاشور في بيان الحجاج والنتائج في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **بل أكثرهم لا يعقلون** ﴾ يقول:« إضراب وانتقال من حمد الله على وضوح الحجج إلى ذم المشركين بأن أكثرهم لا يتفطنون لنهوض تلك الحجج الواضحة فكأنهم لا عقل لهم لأن وضوح الحجج يقتضي أن يفطن لنتائجها كلُّ ذي مُسكة من عقل فنزلوا منزلة من لا عقول لهم.»[٣٥] ويقول البيضاوي: «فيتناقضون حيث يقرّون بأنه المبدئ لكل ما عداه ثم إنهم يشركون به الصنم»[٣٦]. وبذلك تتضح النتائج الايجابية والمضادة لها . فالحجة التي جاءت تفصيلية لبيان قدرة الخالق وبديع صنعه وعظمة هيبته تقتضي الطاعة وترك نسبة اسباب الموجودات الى غير الله . ومن ثم نجد الدور المهم لـ(بل) في كشف التعارض بين القناعة الداخلية عند الانسان , وعدم العمل عليها . أي هي إرادة نقل الذهن البشري من القناعة الذاتية (الفطرية) الى الاقتناع عن طريق الحجاج اللغوي . فالخطاب يشير الى تسليم الجميع المؤدى ب(واو الجماعة) في قوله تعالى: (ليقولنَّ الله) وهو تصديق لا يتعدى ظاهر القول . فلم يصل الاذعان الى مستوى التحرك والتطبيق لمضمون القول . وقد يأتي التكذيب والابطال بالاستفهام عن الحال كما في قوله تعالى : ﴿ **لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾الزخرف/ ٨٧) أي كيف ينقلبون وينصرفون عن عبادته بعد الإقرار بأن الله تعالى خالقهم حتى أشركوا به غيره . فكيف يُؤفك هؤلاء في إدّعائهم إياه آلهةً.[٣٧]

إبطال فكرة تعدد الالهة .

لا يأتي هذا النوع من إبطال الحجج بـ(بل) ولا (لكن) . وإنما يأتي بأساليب أخرى. فالنفي والشرط يشد بعضهما الاخر لإسقاط حجة الخصم ففي قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ المؤمنون / ٩١ اجتمع النفي والشرط في الحجاج . والنفي هو إلغاء ورفض لحجة الآخر . مع تضمنه للشرط لبيان الملازمة بين الحجة والنتيجة . ثم يأتي الرابط للنتيجة وهو (اللام) التي تكررت لتعدد النتيجة. فالمشركون هنا لم ينكروا قيام الله بالخلق فقد أعترفوا بذلك كما عرفنا في النص القرآني السابق بل أنكروا وحدة الخالق .وأضافوا اليه شركاء في التكوين .

_ الحجة ما كان معه من إله ... اي لو كان معه إله
_ النتيجة الاولى لذهب كل إله بما خلق
_ النتيجة الثانية لعلا بعضهم على بعض
_ النتيجة الثالثة المضمرة وهي ان الخالق واحد وهو الله وذلك في الحجة الأولى من قوله تعالى (ما كان معه من إله) إذ يضمر هذا القول : لم يكن معه إله وهو نفي وجود إله ثانٍ .

واشار المفسرون الى هذا النوع من الحجاج بشكل واضح . فالقرطبي يرى أن في الكلام حذفاً وتقديره لو كانت معه آلهة لانفرد كل إله بما خلق . والنتيجة عنده هي ما كان معه إله فيما خلق[٣٨]. والتقدير عند ابن كثير في هذه الآية « لو قدر تعدد الآلهة ، لانفرد كل منهم بما يخلق..»[٣٩] .ويرى الطباطبائي إنها حجة على نفي التعدد[٤٠] وبذلك نجد إن المفسّر الذي يهتم

بالجانب الحجاجي لهذه النصوص العقدية يفسّر الأدوات اللغوية تفسيراً حجاجياً فضلاً عن وضعها الوظيفي النحوي.

وفي قوله تعالى : ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ الانبياء / ٢٢ينفرد الشرط في حجاج آخر لإبطال التعدد .فان (لو) الشرطية تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره[٤١] . أو هي حرف امتناع لامتناع كما ينقل عن أغلب النحويين . ولا يراد بالإمتناع النفي دائماً فقد تكون الجملة الشرطية متركبة من النفي اصلاً ثم يدخل عليها الشرط كما في قولك : لو لم يقم زيد لم يقم عمرو.[٤٢] . ومن ثم فإن الإمتناع الذي ذكره النحويون لا يعني أن تكون الجملة منفية . وانما هو نفي لمضمون الجملة مهما كان . ويرى ابن الحاجب إن (لو) في هذه الآية لا تدل على امتناع الثاني لامتناع الأول .فإن امتناع الفساد يحصل لامتناع تعدد الآلهة وليس لإمتناع وجودها.[٤٣] وهو نظر حجاجي واضح فإن نتيجة الحجاج وهي الفساد لا تترتب على عدم وجود الخالق بل على تعدد الخالق والموجد :

ومن الواضح أن الحجة هي : لو تعددت الآلهة وإشتركت في الخلق .

النتيجة : الفساد في السموات والارض .

. و(إلا) هنا لم تأت للإستثناء بل جاءت بمعنى (غير) . فلو كانت (إلا) للاستثناء لأصبح المعنى : لو كان فيهما آلهة باستثناء الله لفسدت . بمعنى لو لم يكن الله مع مجموع الآلهة لفسدت . وذلك يقتضي أنها لا تفسد إذا كان الله مع الالهة الاخرى. وهو باطل حتما . أما اذا كانت بمعنى (غير) وهي صفة لـ(آلهة) فان المعنى صحيح . والحجاج هو :

الحجة : لو كانت ثمة آلهة اخرى غير الله تخلق الكون .

النتيجة : يفسد النظام الكوني

وذلك إعتمادا على المبدأ الحجاجي المشترك بين البشر وهو إنتظام الكون وهو من الوقائع الخارجية المحسوسة والحقائق التي لا تقبل الشك . وبذلك تبطل حجة من يرى تعدد الآلهة في الخلق . لاستلزام النتيجة المذكورة .

وربما يأتي الحجاج بالتعارض دون الإفادة من الروابط السابقة . إذ إن الألفاظ الواقعة في سياق هذه الجملة القرآنية هو الذي يبين هذا التعارض . كما في قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾ الفرقان / ٣. على إن الرأي الحجاجي عند بعض المفسرين هو إن الجملة الخبرية خرجت مخرج التعجب. فليس المراد بها هنا الإخبار ؛لأن إتخاذ المشركين آلهة أخرى أمرٌ معلومٌ لكن العجيب أنهم كيف يقابلون الحق بالطغيان . وكيف يشركون بالله تعالى وهو بتلك الصفات آلهةً أخرى صفاتهم على الضد منه .[٤٤] والحقيقة أنهم لا يستطيعون الخلق كما يخلق . بل هم مخلوقون . ومن هنا حصل إبطال حجتهم والحجاج هو :

إتخذوا آلهة غير الله تعالى .. يقتضي أنهم يخلقون ... ولكنهم لا يخلقون .فالنتيجة بطلان هذه الإتخاذ والعودة الى إله واحد .

آليات اللغة والتدرج الحجاجي

يضم التدرج الحجاجي كل ما كان حجاجاً متسلسلاً يصل الى نتائج واضحة . سواء أكان خاضعاً لقوانين السلّم الحجاجي بدقة أم لا . وسواء أكانت الحجج في النص الواحد , أو في نصوص قرآنية عدة . والتدرج في الحجاج العقدي القرآني سمة معروفة في نصوص التكوين مثلما هو في مجال الفقه , والاخلاق . والعقيدة. إذ يحتاج الإقناع لسلسلة من الحجج لاستحصال التفريغ الذهني ثم تضمينه الاعتقاد الحق . والسلم الحجاجي يحصل عندما تكون ثمة علاقة تراتبية بين مجموعة من الحجج المنتمية الى فئة حجاجية واحدة .فكل قول يأتي يرد في درجة معينة من السلم فان القول الذي بعده يكون أقوى منه دليلاً.(٤٥). ونحن نلتزم بما تؤديه أدوات اللغة ومستوياتها المختلفة من سلالم حجاجية في هذا الاطار . ومن تدرج للوصول الى النتائج . ويمكن ملاحظة السلمية على صور عدة منها :

التدرج الحجاجي المعجمي

تتنوع الأفعال ومشتقاتها لزيادة التأثير والإقناع بحسب دلالاتها وسياقاتها في النص القرآني . فالفعل (فطر) ومشتقاته. تكرر في النص القرآني ستة مرات بصيغة اسم الفاعل ومرة بصيغة الماضي بقوله تعالى : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . وهو اقوى حجاجاً من الفعل (خلق) ،و(أنشأ) ، و(جعل) . لان فَطَر يعني ابتدع واخترع من غيرشيء أما (خلق) فيدل على الإيجاد والتقدير . ويحتل مساحة أكبر في سياقات الحجاج العقدي ، وهو أكثر تداولاً .وأقل منهما (جعل) الذي يدل بحسب السياق القرآني على تكوين الأنظمة الكونية بعد التكوين الأولي .إذ تجتمع في سياق قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر / ١ . و﴿ وهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾. يونس / ٥

والفعل (أنشأ) الذي يدل على التكوين الثاني أي الإيجاد بعد الإيجاد . إذ يأتي مع الخلق في سياق واحد كما في قوله تعالى : ﴿**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ المؤمنون / ١٤ ليتبين الفرق في قوة الحجاج إذ ورد الفعل (أنشأ) في آخر مرحلة من مراحل خلق الإنسان.بعد تكرار الفعل (خلق) في المراحل السابقة . يقول الشنقيطي في بيان هذه الآيات : «إن بيان خلقة الإنسان على النحو المتقدم أقوى في انتزاع الاعتراف بقدرة الله من العبد ... وكل طور منها آية مستقلة , وهذا التوجيه موجود في الظواهر الكونية ايضاً من سماء أرض , فالسماء كانت دخاناً وكانت رتقاً ففتقهما , والأرض كانت على غير ما هي عليه الآن »(٤٦)

ولم يأتِ الفعل (وجد) ومشتقاته في سياقات عقيدة التكوين . فالتنوع في استعمال المادة مع المضمون الواحد يؤثر في تقنيات الحجاج لأنه يتحكم بطاقة الحجاج ويحصر النتائج والإستلزامات الأخرى. ويعمل على التدرج الحجاجي في سلّمية معجمية. ومن المعلوم أن الترتيب الدلالي معروف عند العرب في تدرج الصفات . ولعل الصفات – كما ذكر د عز الدين

الناجح - هي أكثر أقسام الكلام تعبيراً عن السلّمية المعجمية فاذا وصفت أمراً بالصفات الآتية : ممتاز ، ورائع ، وجيد فإن صفة (جيد) هي أقل الصفات أثراً في عملية التوجيه الحجاجي[٤٧] وبذلك فان صفة الفاطر ، والخالق ، والمصور والمبدئ . وإن كانت كلها أسماء لله تعالى وتدل على الذات المقدسة الواحدة بيد أنها في الجانب الحجاجي تختلف في التوجيه لما ذكرنا من تفاوت في دلالتها على التكوين . قال تعالى : ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾ الحشر / ٢٤. فالبارئ الموجد من العدم . والمصوّر المشكّل لكل موجود على صورة معينة . وقد جاءت هذه الأسماء في سياق التوحيد بعد إن ذكرت الآية السابقة مجموعة أخرى منها في قوله تعالى : ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ الحشر / ٢٣ لينتهي السياق بـ« إقامة البرهان المُلزم وإنتزاع الإعتراف والتسليم (وهو الخالق البارئ المصور) وهو أعظم دليل وهو ما يسمى بدليل الإلزام لأن الخلق لا بد لهم من خالق وهذه قضية منطقية مسلّمة .. »[٤٨]

التدرج الحجاجي بالصيغة

إن الصيغ الصرفية من اسم الفاعل واسم التفضيل والصفة المشبهة وصيغ المبالغة تشكل تدرجاً حجاجياً إذ إن صيغ المبالغة أقوى حجاجاً من الصفة المشبهة واسم الفاعل لما فيها من الزيادة في الدلالة لإحتوائها على مقولة العدد والكثرة . وتتضمن الجموع تدرجاً في حجاجيتها أيضاً فهي تتنوع بين جمع القلة والكثرة وجمع الجمع[٤٩] . وقد ورت أفعال التكوين بصيغ الماضي والمضارع واسم الفاعل وصيغ المبالغة . منها قوله تعالى : ﴿ **قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ** ﴾ الأنبياء / ٥٦ . و﴿ **قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ الأنعام / ١٤. و﴿ **ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ**﴾ الزمر / ٦٢ و﴿**ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ**﴾ الواقعة / ٧٢

وجاءت صيغة المبالغة من (خلق) بعد صيغة الفعل الماضي والمضارع لبيان تراتب القيم الحجاجية في قوله تعالى : ﴿**أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾ يس / ٨١ ، وقوله تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ** ﴾ الحجر / ٨٥-٨٦ . فالنتيجة المطلوبة واحدة وهي طلب التصديق بالله تعالى والاعتقاد به خالقاً ومن ثم طاعته لكنها جاءت في سياق تدرج حجاجي لتثبيت العقيدة في ذهن السامع ونقله الى المضمون نفسه عبر هذا التدرج.

واسم التفضيل ايضاً من مواضع الكم التي تثبت أفضلية أشياء على أخرى لأسباب كمية . وهو معروف في المحاورات العرفية فالكل أكبر من الجزء وغير ذلك من تفضيل بعض الصفات. ومواضع الكم من مقدمات الحجاج التي يؤتى بها للتصديق والتأثير على المتلقي [٥٠] . وتشكل تدرجاً حجاجياً بحسب سياقاتها القرآنية ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **أَءَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا**﴾ النازعات / ٢٧ فإن صيغة (أفعل) في (أشد) على وفق قانون القلب

أدت دوراً حجاجياً في السلم الحجاجي عبر نقل الذهن من وضع أدنى لآخر أعلى للتدرج بالمعرفة وتحصيل الإقناع . وبالصيغة ذاتها والمضمون نفسه جاء التفضيل بـ(أكبر) في قوله تعالى : ﴿**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأٌ رْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** ﴾غافر/ ٥٧ لحكم العقل البشري بأن من يوجد الأكبر يستطيع إيجاد الأصغر منه بطريق أولى. فيتدرج الحجاج هنا من الأقل للأكثر وتتحرك الحجج تصاعدياً لبيان الأهم والأكبر من جهة الخلق. وهو انتقال في سلم الحجاج الى ما هو أعلى مرتبة وأهمية لزيادة الاقناع عن طريق التدرج التصاعدي . ويقف الطنطاوي في تفسيره موقفاً حجاجياً بارزاً في توجيه هذا الآية إذ يقول : « ومما لا شك فيه إن من قدر على خلق الاعظم , فهو على خلق من هو أقل منه أقدر وأقدر »[٥١].

وتأتي صيغة أفعل في (أحسن) في قوله تعالى ﴿**أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ**﴾ الصافات / ١٢٥. لبيان موضع التفضيل . وإن قلنا بعدم المقارنة بين خلقهم وصنعهم وخلق الله و صنعه ، ولكنه يؤخذ في الجانب التداولي الحجاجي لبيان القيمة الحجاجية الأعلى للوصول الى النتيجة باذعان وتصديق تام .وقد ورد ذلك في سياق حجاج نبي الله (الياس) مع قومه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الصافات / ١٢٤ بعد إن صنعوا لانفسهم أصناماً يعبدونها . لذا جاءت صيغة اسم الفاعل بالجمع لبيان أن ما صنعوه وخلقوه لا ينفع ولا يضر قياساً لخلق الله تعالى .

التدرج الحجاجي بالأدوات اللغوية

بالمضمون الحجاجي نفسه وبآلية لغوية مختلفة يأتي النص القرآني الآخر بأداة لغوية اخرى وهي (أم) المركبة من أكثر من عامل حجاجي كما ذكرنا لبيان التدرج الحجاجي ففي قوله تعالى : ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ , أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ**﴾ ٣٥-٣٦ إذ تكتنز النفي والاستفهام والاضراب لترتيب سلم الحجاج ففي الحجة الاولى : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) والتي تعني هل خلقوا من غير شيء وكذلك تضمر النتيجة والجواب لهذا الاستفهام وهو : لم يخلقوا من غير شيء . فإذا سلم الخصم بإنهم ما خلقوا من غير شيء وفقاً للمبادئ الحجاجية العامة ينتقل الحجاج الى مرتبة أخرى في قوله تعالى : (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) لتكون الحجة بالاستفهام ب (أم) :

هل كانوا هم الخالقون . وبالنفي فيها : لم يكونوا خالقين .

فضلاً عن إضمارها للأضراب لنقل الحجاج لمستوى أعلى : بل ما كانوا خالقين .

ثم تأتي الحجة الثالثة : ﴿ **أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** ﴾ اي : لما لم يكونوا خالقين فهم لم يخلقوا السموات والارض لأن خلقها أكبر وأشد كما ذكرنا في الآيات السابقة . ولما انتفى خلق السموات والارض بهذا التدرج تكون النتيجة النهائية : ان الله تعالى هو خالق السموات والارض . ومن المعلوم إن أدوات النفي كثيرة في النحو العربي . وهي تفيد نفي مضمون الجملة . بل ثمة حروف متمحّضة في النفي مثل (ما , لا , لم , لن) وهي عوامل حجاجية تشدّ الملفوظ وتوجّه النتائج الى وجهه اخرى [٥٢] . بيد ان الحجاج لم يأت بواحدة من أدوات النفي السابقة بل جاء بـ(أم المنقطعة) لتوفرها على النفي المتلبس بالإستفهام والإضراب .فالحجاج ينتقل الى حجة أخرى في السلم الحجاجي عن طريق الإضراب الموجود بـ(أم) ويستفهم من الآخر المعاند ليزمه

الحجة عن طريق الاستفهام في (أم) وفي الوقت نفسه يريد بيان نتيجة الحجاج وهي نفي خلق الانسان لنفسه وذلك بالنفي المتضمن بنوع الاستفهام في (أم) الذي لم يأت على حقيقته .بل جاء للإنكار ونفي المضمون .

ولو تصورنا إن النص جاء كالاتي :

بل أ خلقوا من غير شيء .

بل ما خلقوا من غير شيء .

أخلقوا من غير شيء

ما خلقوا من غير شيء

فإن كل واحدة منها تؤدي دوراً حجاجياً ولكن الجمع بين هذه الاساليب يجعل الانتقال بالحجج أقوى من جميع الملفوظات الحجاجية . وفي قوله تعالى ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ الرعد / ١٦ .نجد الإستفهام في هذا النص جاء بارزاً مع وجود (أم) ومن المعلوم إن (هل) الإستفهامية خرجت لمعنى النفي في سياق هذه الآية . وقد تكرر الإستفهام بـ(هل) مرتين ليؤدي معنى النفي لان من الحقائق الواضحة هي :

لا يتساوي الأعمى والبصير . ولا تتساوى الظلمات والنور . وهو تدرج للوصول إلى النتيجة النهائية للحجاج . لذا جاءت (أم) مرافقة لـ(هل) الإستفهامية الثانية لتؤدي كل أداة دوراً منفصلاً تمهيداً للدخول في صميم الحجاج . إذ إن (أم) هنا مجردة عن الاستفهام فلا يدخل الإستفهام على الإستفهام كما يرى ابن هشام . ويرى أنها مجردة عن الإستفهام أيضاً في قوله تعالى : ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ لأنه الآية جاءت للإخبار عنهم باعتقاد الشركاء . ويستدل ابن هشام برأي الفراء الذي يرى إن في قولك: (هل لك قبلنا حق أم انت رجل ظالم) أي أنت .وبذلك فإن ابن هشام ينفي عنها الإستفهام لتتفرغ للإضراب الذي ينقل المتلقي الى حجة أقوى [٥٣] . ثم عادت (أم) لتعمل في الاستفهام مع الإضراب في الآية التي بعدها : ﴿**أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾ اي بل أ جعلوا . والهمزة للإنكار . أي ليس الأمر هكذا , بل إذا فكّروا علموا إن الله هو المنفرد في الخلق.[٥٤] ويرى القرطبي إن هذا تمام الإحتجاج , فإن في هذه الآية ردّاً على المشركين , والقدرية الذين زعموا أنهم خلقوا كخلق الله . ويتبين الحجاج عند القرطبي في سؤال هؤلاء عن خالق السموات والأرض[٥٥] . فالسؤال يسهّل الحجة عليهم . فإذا عجز كل مخلوق عن مثل خلق الله تبين أنه تعالى هو الخالق. ومن الواضح أن (أم) تضمر الإستفهام والإضراب وكل يعمل بوظيفة حجاجية ضمن التدرج الحجاجي .

هل يستوى الاعمى والبصير ..... النتيجة المضمرة لا يستوي

. ومثله : هل تستوي الظلمات والنور ..... والنتيجة لا تستوي

اي أن وضوح هذه المقدمات وحجاجيتها ينقل الذهن الى التسليم بالحجة الأكبر فلا يمكن المساواة بين الخالق والمخلوق . ولا يوجد شريك له في الخلق . وبذلك « تمت عليهم الحجة في توحيد الربوبية من جهة اختصاصه تعالى بالخلق والإيجاد فلم يبق لهم إلا أن يقولوا بشركة

شركائهم في الخلق والإيجاد فهل هم قائلون بان شركاءهم خلقوا خلقاً كخلقه ثم تشابه الخلق عليهم » [٥٦] ويأتي التدرج الحجاجي أحياناً في خلق الإنسان نفسه ببيان أطوار تكوينه ونشأته حجاجاً نفسياً لا يقبل الشك .ففي سورة الواقعة قال تعالى : ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ , أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ , أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ** ﴾ الواقعة / ٥٩-٥٩ يجد الطنطاوي استفهامين حجاجين الأول منهما : أأنتم تخلقونه ؟ وجوابه : لا . والاستفهام الثاني : بل أ نحن الخالقون . والجواب : نعم وهو ما تحصل من الاداة (أم) [٥٧] التي جاءت للاستفهام والاضراب معاً . . ويأتي التدرج الحجاجي أحياناً بإسلوب النفي. إذ إن نفي الأقل يستلزم نفي الاكثر. بحسب قانون الخفض الحجاجي فإذا قلت: زيد لا يتملك شهادة البكلوريوس فإن ذلك يعني عدم إمتلاكه الماجستير فضلاً عن الدكتوراه . وإن عدم قدرة الإنسان على خلق المخلوقات الضعيفة دليل على عدم قدرته على خلق ما هو أكبر. كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** ﴾ الحج : ٧٣ . ويتأكد هذا القانون بأداة النفي التي تفيد التأبيد زيادة في قوة الإقناع .

الخاتمة

بعد هذا البحث الموجز في ثنايا آيات التكوين والتعرف على حجاجية آلياتها اللغوية بمجموعة العوامل والروابط والتدرج الحجاجي وبحسب السياقات التي وردت فيها الآيات توصل البحث لما يأتي :

١. تكتنز لغة القرآن الكريم آليات لغوية مركزة أسهمت في التأسيس لحجاج لغوي قرآني في الدفاع عن عقيدة التوحيد في الخلق والايجاد .
٢. يترتب الإقناع في هذا الحجاج على ما هو مرتكز في الذهن البشري من القناعة الذاتية (الفطرية) وتعمل آليات الحجاج اللغوي على إخراجها عبر بعض التقنيات الحجاجية .
٣. الملفوظ الحجاجي في هذا النمط من الحجاج يتوفر على طاقة حجاجية تمكن المحاجج من استعماله في مجال الإستدلال المنطقي والحجاج اللغوي وغيرهما .
٤. تتركب بعض الآليات اللغوية من أكثر من موجّه حجاجي في الأداة الواحدة . إذ يجتمع إسلوبان أو أكثر في الأداة الواحدة من الاستفهام والنفي والإضراب ,لزيادة التكثيف الحجاجي على الخصم .
٥. تعمل الآليات اللغوية على إبطال حجج الخصم عن طريق أدوات الإضراب والإستدراك والنفي . وكل ما يمكن الإفادة منه في إيجاد التناقض في كلام الخصم . ودحض آرائه .
٦. تعمل الآليات اللغوية على تكوين السلالم الحجاجية على وفق قوانينها المعروفة . وكل ما من شأنه أن يتدرج بالحجاج عبر مراتب تصاعدية أو تنازلية لتحصيل الاقناع والتأثير .
٧. يعتمد الحجاج مبادئ حجاجية كونية يشترك بها البشر جميعاً بوصفها من المشاهدات الواقعية والحقائق التي لا تقبل الشك .

الهوامش

[١] بحث منشور في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مجلد ٤٦ العدد ٦ لسنة ٢٠١٩
[٢] بحث منشور في مجلة تسليم العدد الأول المجلد الأول لسنة ٢٠١٧ .
[٣] **ينظر الحجاج في القران من خلال اهم خصائصه الاسلوبية : ٣٦**
[٤] **ينظر في نظرية الحجاج , دراسات وتطبيقات :١٣**
[٥] **. التداولية والحجاج ,مداخل ونصوص:٦٢**
[٦] **ينظر التحرير والتنوير , : ١٧/ ٤٧**
[٧] **المنطق:٣ / ٣٠١**
[٨] **ينظر التحرير والتنوير: ١٧ / ٤١**
[٩] **المصدر نفسه :٤٢**
[١٠] **ينظر في نظرية الحجاج : ٣١**
[١١] **ينظر مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : ١/ ٢٨٥**
[١٢] **ينظر مقاييس اللغة:٥/ ٣٣ مادة قنع**
[١٣] **النص الحجاجي دراسة في وسائل الاقناع: ٤٥ والتعريف هو ل (توماس شايدن) نقله د محمد العبد .**
[١٤] **ينظر اللغة والحجاج : ٣٣**
[١٥] **ينظر نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: ٤١**
[١٦] **. ينظر الحجاج في القران , عبد الله صوله : ٤٢٧**
[١٧] **ينظر المقتضب: ٣/ ٢٨٧**
[١٨] **ينظر المقتضب:٣/ ٢٨٦**
[١٩] **ينظر مغني اللبيب : ١/ ٤٤**
[٢٠] **معاني القران للفراء : ١/ ٢٤١**
[٢١] **ينظر معاني القران للنحاس : ٤/ ٤٨٢**
[٢٢] **ينظر مغني اللبيب : ١: ٢٨**
[٢٣] **ينظر مغني اللبيب : ١/ ٣٣٢**
[٢٤] **في نظرية الحجاج : ٤٤**
[٢٥] **ينظر الحجاج بين النظرية والاسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبني: ١٢**
[٢٦] **ينظر شرح الكافية : ٢/ ٣٢١ , والمفصل : ٨/ ٨٠**
[٢٧] **ينظر اللغة والحجاج : ٥٨**
[٢٨] **الكتاب: ١٠٤.**
[٢٩] **ينظر الحجاج في القران الكريم, عبد الله صوله: ٣٢٠**
[٣٠] **ينظر شرح الكافية : ٣/ ١٨٥**
[٣١] **شرح الكافية : ٢/ ١٣٠٤**
[٣٢] **ينظر الحجاج في اللغة : ٦١- ٦٢**
[٣٣] **التفسير الوسيط للطنطاوي : ١١ : ٥٦**
[٣٤] **ينظر نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان: ٤١**
[٣٥] **التحرير والتنوير : ٢١ / ٣٠**
[٣٦] **ينظر انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي: ٤/ ٣٢٣**
[٣٧] **ينظر الجامع لإحكام القران , والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن:١٩ / ٩٤**

[٣٨] ينظر تفسير القرطبي : ١٢ / ١٤٦
[٣٩] تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٤٦
[٤٠] الميزان: ١٥ / ٦٢
[٤١] . ينظر حروف المعاني , ابو الحسن علي بن عيسى الرماني : ١٠١
[٤٢] . ينظر رصف المباني في شرح حروف المعاني : ٢٨٩
[٤٣] ينظر أمالي ابن الحاجب: ١/ ٣٠٩
[٤٤] ينظر التحرير والتنوير : ١٨ / ٣١٩ .
[٤٥] ينظر اللغة والحجاج : ٢١
[٤٦] اضواء البيان , الشنقيطي : ٨/ ٣٠٩
[٤٧] ينظر العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ١٢٤
[٤٨] أضواء البيان للشنقيطي : ٨/ ١٢٤
[٤٩] ينظرالعوامل الحجاجية في اللغة : ١٢٦
[٥٠] ينظر في نظرية الحجاج : ٢٧
[٥١] التفسير الوسيط : ١٢/ ٣٠٣
[٥٢] . ينظر العوامل الحجاجية في اللغة العربية : ٤٧
[٥٣] ينظر مغني اللبيب : ١/ ٤٤
[٥٤] ينظر زاد المسير , ابن الجوزي ٤/ ٢٣٦ , ينظر تفسير البيضاوي: ٣/ ٣٢٥
[٥٥] ينظر القرطبي : ٩/ ٣٠٣
[٥٦] تفسير الميزان : ١١/ ٣٢٦
[٥٧] ينظر التفسير الوسيط : ١٤ / ١٧٥

المصادر والمراجع

أمالي ابن الحاجب, ابو عمرو عثمان بن الحاجب(ت ٦٤٦ هـ) , تحقيق د فخر صالح سليمان ,دار الجيل / بيروت, دار عمار / عمّان .

- انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي, ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (ت ٦٩١ هـ) , اعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي , دار احياء التراث , مؤسسة التاريخ العربي / بيروت .
- التحرير والتنوير , محمد الطاهر ابن عاشور, الدار التونسية للنشر / ١٩٨٤ / تونس.
- التداولية والحجاج ,مداخل ونصوص , صابر الحباشة, ط١ دار صفحات دمشق /
- تفسير القران العظيم , اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤ هـ) تح سامي بن محمد السلامة , دار طيبة , ط٢ / ١٩٩٩ / السعودية.
- التفسير الوسيط للقران الكريم , محمد السيد للطنطاوي , ط٣ / ١٩٨٧ / مط الرسالة / مصر .
- الجامع لإحكام القران , والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن , محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي , تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي , مؤسسة الرسالة ط١/ ٢٠٠٦
- الحجاج بين النظرية والاسلوب عن كتاب نحو المعنى والمبني , باتريك شارودو , ترجمة د احمد الودرني , دار الكتاب الجديد , ط١ / ٢٠٠٩ / ليبيا: ١٢
- الحجاج في القران الكريم من خلال اهم خصائصه الاسلوبية , عبد الله صوله , دار الفارابي / بيروت ط ١ / ٢٠٠١
- الحجاج في القران الكريم من خلال اهم خصائصه الاسلوبية , عبد الله صوله , دار الفارابي / بيروت ط ١ / ٢٠٠١ .
- حروف المعاني , ابو الحسن علي بن عيسى الرماني(ت ٣٨٤ هـ) تح عبد الفتاح اسماعيل شلبي, دار الشروق, ط٢/ ١٩٨١ /السعودية

- رصف المباني في شرح حروف المعاني ,احمد بن عبد النور المالقي (ت ٧٠٢ هـ) تح احمد محمد الخراط مجمع اللغة العربية / دمشق.
- زاد المسير في علم التفسير ,جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي (ت ٥٩٧ هـ) . مط دار ابن حزم , ط١ / ٢٠٠٢ , بيروت .
- شرح المفصل ,ابو البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (ت٦٤٣ هـ) , تح أميل بديع يعقوب , دار الكتب العلمية / بيروت .
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية , عز الدين الناجح, ط١ , دار نهى , صفاقس / تونس / ٢٠١١.
- في نظرية الحجاج , دراسات وتطبيقات , عبد الله صولة , ط١ / ٢٠١١ / تونس .
- الكتاب: لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- اللسان والميزان او التكوثر العقلي , د طه عبد الرحمن , ط١/ ١٩٩٨
- اللغة والحجاج , ابو بكر العزاوي , ط١ / ٢٠٠٦ , مط الطابع / المغرب .
- معاني القران , ابو زكريا يحيى زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) مط عالم الكتب , ط٣ / ١٩٨٣
- معاني القران للنحاس , ابو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تح محمد علي الصابوني , ط١ / ١٤٠٩ .
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب , ابن هشام الانصاري(ت٧٦١ هـ) , تح محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية , ١٩٩١ / لبنان
- مقاييس اللغة , ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥) , تحقيق عبد السلام محمد هارون , دار الفكر / بيروت .
- المقتضب , ابو العباس يزيد بن محمد المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) تح محمد عبد الخالق عظيمة . ط٢ / ١٩٩٤ , القاهرة / مصر
- المنطق , محمد رضا المظفر ط٥ / مطبعة سرور١٤٢٧ / ايران .
- الميزان في تفسير القران , محمد حسين الطباطبائي , ط١/ ٢٠٠٩ دار المجتبى / قم / ايران.
- النحو الوافي , عباس حسن , ط٥ دار المعارف , / مصر.
- النص الحجاجي دراسة في وسائل الاقناع . محمد العبد , بحث في محلة فصول العدد ٦٠ / ٢٠٠٢ / مصر
- نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان , د الحسين بنو هاشم , دار الكتاب الجديد ط١/ ٢٠١٤ / ليبيا

المصادر والمراجع باللغة الانكيزية

Amali Ibn Al-Hajeb, Abu Amr Othman Ibn Al-Hajeb (d.646 AH), edited by Fakhr Saleh Suleiman, Dar Al-Jeel / Beirut, Dar Ammar / Amman

Anwar al-Tanjeel and the secrets of interpretation known as Tafsir al-Baidawi, Nasir al-Din Abdullah bin Omar al-Shirazi al-Baidawi (d.691 AH), prepared and presented by Muhammad Abd al-Rahman al-Mara'ashli, House of Revival of Heritage, Arab History Foundation / Beirut

Editing and Enlightenment, Muhammad Al-Taher Ibn Ashour, Tunisian Publishing .House / 1984 / Tunisia

The deliberative and the pilgrims, entries and texts, Saber al-Habasha, 1st edition House Pages / Damascus

Interpretation of the Great Qur'an, Ismail bin Omar bin Kathir al-Qurashi (d. 774 AH) Tah Sami bin Muhammad al-Salamah, Dar Taibah, 2nd Edition / 1999 / Saudi Arabia

The Intermediate Interpretation of the Noble Qur'an, Muhammad al-Sayed .Lattawi, ed. 3/1987 / Stretch the Message / Egypt

The Whole to the Ruling of the Qur'an, which clarifies what it contains from the Sunnah and the verse of the Qur'an, Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr al-Qurtubi, edited by Abdullah Abd al-Mohsen al-Turki, The Resala Foundation,

1/2006

Al-Hajjaj between theory and style, on the book Toward the Meaning and the Building, by Patrick Charoodo, translated by Dr. Ahmed Al-Waderni, Dar Al-Kitab Al-Jadid, Edition 1/2009 / Libya: 12

Pilgrims in the Noble Qur'an through its most important stylistic characteristics, Abdullah Soula, Dar Al-Farabi / Beirut 1st Edition / 2001

The Letters of Maani, Abu al-Hasan Ali bin Issa al-Ramani (d. 384 AH) Under Abd al-Fattah Ismail Shalabi, Dar al-Shorouk,

2nd Edition / 1981 / Saudi Arabia

Paving buildings in explaining the letters of meanings, Ahmad bin Abd al-Nur al-Malqi (d. 702 AH) Taah Ahmad Muhammad al-Kharrat, the Arabic Language .Academy / Damascus

Zad al-Masir in the science of interpretation, Jamal al-Din Abdul Rahman bin Ali (bin Muhammad al-Jawzi al-Qurashi (d.597 AH

Explanation Al-Mufassal, Abu Al-stay Ya'ish bin Ali bin Ya'ish al-Mawsili (d.643 AH), Thamil Badi Ya'qub, Dar al-Kutub al-Ilmiyya / Beirut

Hajj factors in the Arabic language, Izz al-Din al-Najih, 1st Edition, Dar Noha, Sfax / .Tunisia / 2011

In Hajj theory, studies and applications, Abdullah Saoula, 1st Edition / 2011 / Tunis

The book: Les Sibawayh, Amr bin Othman bin Qanbir (d.180 AH), edited by Abd al-.Salam Harun, Al-Khanji Library, Cairo, Fifth Edition, 1430 AH-2009AD

The tongue and the balance or the mental growth, Dr. Taha Abdel Rahman, ed. 1/1998

Al-Language and Al-Hajjaj, Abu Bakr Al-Azzawi, Edition 1/2006, Mat Al-Taba'a / .Morocco

The meanings of the Qur'an, Abu Zakaria Yahya Ziyad al-Furra (d. 207 AH) Mat / Alam al-Kutub, Edition 3

The meanings of the Qur'an for copper, Abu Jaafar al-Nahhas (d. 338 AH) under Muhammad Ali al-Sabuni, ed. 1/1409

Mughni al-Labib on the books of al-A'arib, Ibn Hisham al-Ansari (d.761 AH), Tah Muhammad Muhi al-Din Abdul Hamid Modern Library, 1991 / Lebanon

Language scales, Abu al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakaria (d. 395), edited by Abd al-Salam Muhammad Haroun, Dar al-Fikr / Beirut

Al-Muqtadab, Abu al-Abbas Yazid bin Muhammad al-Mabrad (d.285 AH) under Muhammad Abd al-Khaleq Great 2nd Edition / 1994, Cairo / Egypt

Logic, Muhammad Reza Al-Mudhaffar 5th Edition / Sorour Press 1427 / Iran

Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an, Muhammad Husayn al-Tabataba'i, 1st Edition / 2009 Dar al-Mujtaba / Qom / Iran

.Wafa Grammar, Abbas Hassan, 5th Edition Dar Al Maaref, / Egypt

Al-Hajjaji text, a study of means of persuasion. Muhammad Al-Abd, Research in the locality of Fosoul, Issue 60/2002 / Egypt

The Theory of Al-Hajjaj by Chaim Perelman, Dr. Al-Hussein Bin Hashim, Dar Al-Kitab Al-Jadeed Edition 1/2014 / Libya: 41